

مع المتنبي في تحليل قصيدة رثائية ونقداً

الدكتور محمد فاضلي

كلية الآداب - جامعة مشهد

دراسة تحليلية ونقدية للقصيدة التي نظمها المتنبي في رثاء والدة سيف الدولة
قسم فيها الكاتب القصيدة إلى أفكارها الرئيسية وبعد أن شرح الآيات شرحاً أدبياً بادر إلى نقادها وإبراد الآراء
المختلفة حول أبياتها.

- د - آراء و حكم في ثلاثة أبيات .٣٩-٣٧ .
هـ - تسلية سيف الدولة في ستة أبيات .٤٥-٤٠ .

الشرح والتحليل

يبدأ الشاعر رثاءه بفشل الإنسان أمام الموت وعجزه من دفعه و تحيره في رده، ذلك أن المنية عدو لا تنفع الحيل في منعه، و سارق لاتفاق المحسون الحصينة في صده.

«وما الموت الا سارق دُقَّ شخصه»

تتخذ السيف والرماح لمدافعة الأعداء وصيانة النفس والتمسك بالحياة، لكنها لا تقنعنا من بطشة المنية لأنها تهلك بلا قتال وتصيدنا بلا حبال، وكذلك تتخذ الخيول السريعة بين أيدينا وتوسل إليها لتسيق الحادثات فتتخلص منها، لكن الخيول لا يسبقن كرالليالي وتوالي الليل والنهار، فینجينا من نهب الأعمار.

تَتَّخِذ كُلُّ الحيل للسعي وراء الحياة فانها عزيزة ولدت غريبة، من الذي لم يعشق الدنيا ولم يهوا الخلود فيها؟ بيد أن الإنسان لا يعرف سبيلاً إلى البقاء لدى هذا الحبيب وحيلة ندو .٣٦-٨

هذه القصيدة التي سنحاول تحليلها ونقادها تبتدئ بالطلع التالي:

نُعَدُّ المُشْرِفَةَ وَالْعَوَالِيَّ وَنَقْتُلُنَا الْمُنْوَنَ بِلَا قَتَالٍ
انشد المتنبي القصيدة في رثاء والدة ممدوحه وأفرغ ما في وسعه ليتلقي بالقبول من جانب أمير آل حمدان الذي ذاق مرارة الكارثة، وحاول أن يجعل الرزء إلى صورة يتسلل القلب عندها ويطفئ جوى الحزن لديها.

هيكل القصيدة:

يبلغ عدد أبيات القصيدة ٤٥ بيتاً، ترتكز من حيث الشكل والمعنى واللحمة والسدى على المواد والمسائل الآتية:
آ - مقدمة في عجز الإنسان وفشلها أمام الموت وحرصه على الحياة في أربعة أبيات ١-٤ .

ب - التمهيد للدخول في الموضوع بثلاثة أبيات ٧-٥-٧ .
ج - استعظام الحادثة والثناء على الشخص الرجال وأظهار الأسف عليه و تصوير تشيع جنازته في تسعة وعشرين بيتاً .٣٦-٨

الزوال، ولكن يُطيب النفس في هذه الحادثة العظمى أن الفقيدة
نالت موتاً في جلال و شرف ثمنه النساء جميعاً، وفارقت الحياة
طاهرة كرامة، وما واجهت كريمة تغص الحياة و تحبب الزوال، و
بانت والعزّ فوقها ممدود، و كمال ملك ابناً مشهود.

ثم يدعوها بان يسقي قبرها سحاب غزير المطر يبتل نوال
كفها بين سائر الأكف، فيفعل سيلانه وقطراهه على القبر ما يفعل
أيدي الحيل على الأرض لما ابصرت المخالى.

وَمَا احْدُ يُخْلِدُ فِي الْبَرَأِا
أَطْابَ النَّفْسَ أَنِّي مَتَ مُوتًا
وَزَلَّتِ وَمَ نَرِئُ يَوْمًا كَرِهًا
رَوَافِعُ الْعَرَفَوْقِكَ مُسْبَطُ
سَقِيَ مَوَاقِكَ غَادَ فِي الْغَوَادِي
لَسَاحِيَهُ عَلَى الْأَجَادَاتِ حَفَّ

بعد هذا يستدرك الشاعر ثناءه على الميتة و يجعلها اليه
المجد و ملازم الجود، فكلما يرى مجدًا يسأله عنها لانه ما عاهده
حاليا منها، وكلما يبر عليهما طالب المعروف يتذكر جودها و يذكرها
فيمنعه البكاء من السؤال، فلو لم يأخذها الموت من النوال
لاهتدت الى المعروف بلا حاجة الى الكلام والمقال. ثم يقسم
الشاعر عليها بحياتها ان قلبه لم يتسل عنها و إن فارق أرضها،
ولكن لا يدري هل تستل الفقيدة في نهاية مطاف حياتها عن
الفغا الحما و العشة و النباس فتحت عنها.

و بتأسف على أنها نزلت بمكان لا تتمتع فيه بالروح والريحان،
و دخلت دارا سكannya غرباء طال هجرهم و انقطع رباطهم. ففي
هذا المكان توطنت من هي مثل المزن في الطهارة والنقاء، و من
هي كافية للنسر و صادقة في القول، يحقق آمالها و يعالجها طبيب
حادق و ابنها المنقطع النظير، العالم بامراض العزّ والمعلّى، فحيثما
يجد داءً يشعر من ملكه يعالجها بأسنة الرّماس الطويلة.

وَمَا عَهْدِي بِمُجَدِّعِكَ خَالِي
وَيُشْغِلُهُ الْبَكَاءُ عَنِ السُّؤَالِ (١٤)
لَوْأَنِكَ تَقْدِيرُنِي عَلَى فَعَالِ (١٥)
وَانْ جَانِبْتُ أَرْضَكَ غَيْرَ سَالِ
بَعْدِتُ عَنِ النَّعَامِيِّ وَالشَّمَالِ (١٦)
وَنَمَسَّتُ مِنْكَ أَنْدَاءُ الطَّلَالِ (١٧)
طَوْبِيلُ الْمَحْرَرِ مُنْبَثُ الْجَبَالِ (١٨)

الوصال عنده. فحظى الإنسان من الدنيا في الحقيقة و بعيداً
الاعتبار حظه من رؤيا لذىذة برأها في النوم فتتحموا سرعة بعد
النقطة، فكلاهما قصر الأمد جداً.

نُعدُ التَّشْرِيفَةُ وَالْعَوَالِيُّ
وَنُرْتَبِطُ السَّوَاقَ مُقْرِبَاتٍ
وَمَنْ لَمْ يُعْشِيَ الدِّينَ قَدْعَا
نَصِيبُكَ فِي حَيَاكَ مِنْ حَبِيبٍ

وَتَقْتَلُنَا الْمَنْوَنُ بِلَاقْنَالٍ (١)
وَمَا يُنْحِنُنِي مِنْ خَبَبِ الْيَمَالِيٍّ (٢)
وَلَكُنْ لَاسْبِيلُ إِلَى الْوَصَارَ
نَصِيبُكَ فِي مَنَامَكَ مِنْ خَيَالٍ

بعد بيان فشل الانسان في دفع الموت والاسف على عدم البقاء في الدنيا، يختار الشاعر المقدمة ويهذب السبيل للدخول في صلب الموضوع، فيصف حظ نفسه من الدهر وابتلاه بمحاسب كثيرة إذ استهدف لحوادث الأيام، وجعل فؤاده في غشاء السهام، بحيث اذا أصايه سهام جديدة لا تمس قلبه وجسمه بل تنزل على السهام السابقة فتنكسر النصال على النصال. ففي هذه الحالة لم يبق للشاعر ما يخاف عليه، بل هان عليه الدهر وزيادة فلا حفنا ساء لانه لا طائنا في الاهتمام شأنها. فيقول:

رماني الدهر بالازاء حتى
فصرت إذا أصابتي سهام
تكسرت النصال على النصال
وهان فيها أبيي بالرزايا
لأن ما أنتفعت من أبيي
فالشاعر بعد أن تعشى بهذا التوب للحداد، وتلبس بالحزن
والأسف يقبل على الموضوع ويستعظم الحادثة. فيجعل خبر
موت الفقيدة أول نعي بين الناس و شخصها أول راحل في تلك
العظمة والجلالة. كان الناس قبلها لم يروا من الموت أثرا، ولم
يسمعوا منه خبرا، ثم يدعوها ويجعل مغفرة الخالق ورحمته حنوطا
وسترا طيبا لميحة احتجبت في ثوب من الجمال، ودفت قبل
التراب في كريم الخلال. لأن بلي شخصها تحت الارض بعيدا.
يency ذكرها بالحصال الحمية في القلوب جديدا.

وَهُدَا أَوَّل النَّاعِيْنَ طَرَا
كَانَ الْمَوْتُ لَمْ يَفْجُعْ بِنَسْ
صَلَاةُ اللَّهِ خَالِفَنَا حَنْطُوْ
عَلَى الْمَدْفُونِ قَبْلَ التَّرْبَ صُونَا
فَإِنَّ لَهُ بِطْنَ الْأَرْضِ شَخْصَا

لَأَوَّلِ مِيْتَةٍ فِي ذَا الْحِلَالِ (٥)
وَلَمْ يَخْطُ لِمَخْلُوقٍ بِبَالِ (٦)
عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفُونِ بِاَجْمَانِ (٧)
وَقَبْلِ الْحَدِّ فِي كَرْمِ الْحِلَالِ (٨)
جَدِيدًا ذَكْرَنَا وَهُوَ بِالْبَالِ (٩)

بعد أن استعظم الامر وخلق جوًّا كثيباً يتسلل إلى النظر في
غاية الدنيا والحياة، ويلتفت إلى ما يسلّي النفس عما فقدته،
فيسعى أنه لم يقدر للإنسان البقاء في الدنيا و MAGA ماغاية الدهر الآ

مع المتنبي في تحليل قصيدة رثائية ونقداً

حسان ملء المُرْن فيه
يُعلّها بسطامي الشكایا
اذا وصفوا له داء بغير سقاء أسته الأسل الطوال
تَتَوَمُ السُّر صادقة المقال^(١٩) بالسقي والرحمة، ظهر في زَيِّ حكيم ويأتي بـأراء وحواظر عامة حول مصير الإنسان وقضيَا الموت، وذكر أنَّ الإنسان لا يزال في الدنيا من فقد ودفن، يبلِّي الماضي ويُرِّ على ترابه الباقى فلا يتعط ولا يعُّ بزواله، كم نرى ناعمة كانت تقبل عينها الإعزاز والإكرام، وهي اليوم بالية وعينها وطنة بالحجارة والرمال والاقدام، وكم مستسلم اليوم للموت تحت التراب وهو لم يستسلم قبل للخطب والحراب، وكم بالِّ جسمه اليوم في القبور وهو يهتم بزواله وضعفه في القصور.

٢٥١
تُدفن بعضاً بعضها ويسى أواخرنا على هام الأولى
وكم عين مقبلة التواحى كحيل بالخنابل والرمائى
ومعنى كان لا يغضى خطب وبائل كان يفكُّر في الهراء
كان المتنبي بهذه الآيات فتح الباب لمن أُعجب بكلامه اعني

فيلسوف العزة حيث يقول في رثاء الفقيه الحنفي:
خفَّ الوَطْ ما أطَنَّ أَدِيمَ الْأَرْضِ الْأَمَنَّ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
وَقَبَحَ بَنَا وَإِنْ قَدِمَ الْعَهْدُ هَوَانُ الْأَبَاءِ وَالْأَجَادَادِ
سِرِّيْنَ اسْطَعْتُ فِي الْهَوَاءِ رَوِيدًا لَا خِيَالًا عَلَى رُفْتِ الْعَادِ
يرجع الشاعر في نهاية مطافه إلى سيف الدولة ويقبل عليه
فيدعوه إلى الصبر والصمود، ويخصه بالثناء وال مدح، ويعده أثبت
من الجبال عند الخطوب. يخاطبه بأنه مارس المحن والشدائد و
خاصَّ المهالك وجرَّها، وترَّ علىه الأيام صفوها وكدرها، حلوها
ومرّها، فلا يتغير بتغير الحدثان ولا يختلف بأختلاف أحوال
الرَّمان. ما أحسن قول الشنفري في هذا المعنى:

فَلَا جَزِيعٌ مِّنْ خَلَةٍ مُّتَكَبِّفٌ وَلَا مَرْحٌ تَحْتَ الْعَنْيِ الْخَيْلِ
فَهُوَ يَعْمَلُ النَّاسَ التَّعْزِيَ وَاسْتِفَالَ الشَّدَائِدِ، فَكَانَ فِي غَنِّيٍّ
٢١١ عن التذكرة بالصبر والتجلد أمام الحوادث. ثم يدعوه ببقاء
بحاره الراخمة في الصبر والكرم على توالي المحن والنوايب،
وتoward عفاة معروفة وقصاد بايه. يفضله على سائر الملوك تفضيل
المستقيم على المعوج، ويقرب المسألة من الذهن ويريل غرابة
أنَّه ان فضل على الجميع وهو فرد منهم فلا عجب في ذلك، فان
المسك وإن كان من جنس دم الغزال يفوق على سائر دمه في
الشرف والمرية.

أسيف الدولة استجِدْ بصيرٍ وَكَيْفَ يَمْلِي صِرَكَ لِلْجَبَالِ
فَأَنْتَ تُعْلَمُ النَّاسُ التَّعْزِيَ وَخُوضُ الْمَوْتِ فِي الْحُربِ السُّحَالِ
وَحَالَاتُ الرَّمَانِ عَلَيْكَ شَقِّيَّ وَحَالُكَ وَاجِدٌ فِي كُلِّ حَالٍ^(٢٤)

بعد أن زاد الشاعر في نهاية هذه الحلقة بيتين في مدح سيف الدولة يرجع إلى الموضوع ويتدرج في مدح الفقيدة ويضعها في الطبقة الممتازة، ويصف كيفية تشيع جنازتها وحالة المُشيعين من الرجال والنساء، ويصورها أحسن تصوير. فهي فاقت على سائر النساء بالصيانة والتستر، ولم تكن من اللواتي يتخذن القبر حجايا لهن. وكذلك فاقت عليهن بالشرف والعز، فلم يسعها أوساط الناس وأهل السوقه فهوغوها ببعض العبار من تعاملهم عند منصوفهم، بل مني في جنازتها كبار الدولة والأمراء حفاة ووطوا الحجارة واستلأنوها كأنها ريش النعام ولم يلتقطوا إلى وحزها من الحزن والسلام.

وخرجت موطئها نساءً مُسترات في الخدور وتركن التطيب بالغولي والتمسك بالحسن والجمال، فاتخذن ثوب الحداد وشعار حزن البال، نزلت المصيبة بين على غفلة، فبینما كُنَّ ي يكن دلاًلا فُجِّعْنَ موتها و بكين حزنا، فاختلط الدموع باعيهنهن.

ثم يُعطي الفقيدة بأنها تفضل على الرجال، وأنها لو كانت سائر النساء بلغن رتبتها في الحصول والفعال لسبقن الرجال جميعاً ولتفصلن عليهم، فإن نفس الذكرة لا تُعد فضلاً كما أن نفس الأنوثة لا تُعد نقصاً، فلا يضع الشمس تائينه كما لا يرفع الملال تذكرة. إنها كانت بين النساء مفقودة المثال فلا يوجد عنها اليوم عوض، ولذلك كان فقدها أشد حزناً وموتها أوجع المآ.

رئيس كالأناث ولا اللواتي نُدِّ لها القبور من الحال^(٢١) ولا من في جنازتها بخار^(٢٢) كأن المرؤ من رف الرجال^(٢٣) مشي الأماء حولها حفاة^(٢٤) وأبرزت الخدور محبات^(٢٥) يُضَعِّنُ النَّفْسُ أَمْكَنَةَ الْغَوَالِ^(٢٦) اتهنَّ المصيبةُ غَافِلاتٍ^(٢٧) وَلَوْ كَانَ النَّسَاءُ كَمِنْ فَقَدَنَا^(٢٨) لَوْلَا التَّذَكِيرُ فَخَرَّ لِلْمَلَلِ^(٢٩) وَأَبَعَجَ مَنْ فَقَدَنَا مَفْقُودَ الْمَالِ^(٣٠) لما كان الشاعر هنا في رحلته الرئائية على وشك الانتهاء، وعبر عن تعظيم المصيبة وتوصيف حزنه والثناء على الشخص لراحته ومدحه وتصوير تشيع جنازته وحالة المُشيعين والدعاء

مع المتنبي في تحليل قصيدة رثائية ونقدها

اذا رجعنا الى قصيدتنا الرثائية و نقلب الكلمات والألفاظ فيها وجدناها حافلة بموسيقى ملائمة للموضوع، فمثلا انظر الى قوله:

رُماني الْدَّهْرِ بِالْأَزْرَاءِ حَتَّىٰ فَوَادِي فِي غَشَّاءِ مِنْ نَبَالٍ
فهذا البيت مركب من كلمات كلها طويلة الهجاء غير لفظي («الدهر» و «من»).

٣ - استمد الشاعر في تهويل المصيبة من صنعة جمع قضايا لاتجمع في العادة، فصور بريشة تخليه لوحة انعكست عليها حالات لم تكن مألوفة من قبل، وذلك مثل: تكسر النصال على النصال، تخل الحجر في ريش النعام، تحول المحبات إلى المبررات، وضع النقس مكان الغواي، واجتماع دم الحزن مع دمع الدلال فهذه القضايا تبدو في صورة اجتماع الأضداد.

٤ - أبدع الشاعر في بعض صوره التخييلية وذلك مثل جعل سيف الدولة نطاسي المعالي ومعالجة ادواء ثغر ملكه باسئاءة الرماح، وكالتمثيل بالشمس والقمر في تقريب فضل النساء وبالمسك والدم لتفضيل واحد على سائر الناس جميعاً. لكن الشاعر لم يفلح في تشبيه وقع المطر على القبر بضرب ايدي الجيل اذا رأت المخالي، فلا يخفى قبحه ونبوه من الطبع، وايضاً أن وقع مطر كهذا ينتهي الى هدم القبر بدل اسئاءه، فهو بالدعاء عليها أشبه.^(٢٩).

٥ - إن وصف الوجه بالجمال في قوله:
صلـة الله خالقـنا حـنـوطـ على الـوـجهـ الـمـكـفـنـ بـالـجـمـالـ
غير مرضي من وجوه: الأول - ان صاحب الوجه أم الأمير والأمراء يأنفون من وصف نسائهم بالصفات الجسدية. الثاني: ان الوصف بالجمال واقع غير موقعه، اذ أن الميـة عـجوزـة ذـهبـ ماـهـا وـزالـ جـاهـاـ، عـاشـتـ طـوـيلاـ وـقـضـتـ عمرـاـ كـثـيرـاـ.^(٣٠)

الثالث: انه يشبه رثاء الحب والأهل.

٦ - انكر الصاحب بن عباد لفظة «مبسط» في قوله:
روـاقـ العـرـزـ حـولـكـ مـبـسـطـ وـمـلـكـ عـلـىـ اـبـنـكـ فـيـ كـمـالـ
وقال ان ذكرها في مرئية النساء من الخذلان المبين. وكذا انكر تكرار اللفظ في البيت الواحد من غير تحسين،

قوله:
وـأـفـجـعـ مـنـ فـقـدـنـاـ مـنـ وـجـدـنـاـ قـبـيلـ الفـقـدـ مـفـقـودـ المـشـالـ

على عـلـىـ الغـرـابـ وـالـدـخـالـ^(٢٧)
كـانـكـ مـسـقـيمـ فـيـ مـحـالـ^(٢٨)
فـإـنـ الـمـسـكـ بـعـضـ دـمـ الغـرـالـ

فلا غـيـرـتـ بـحـارـكـ يـاـ جـوـمـاـ
رـأـيـكـ فـيـ الـذـينـ أـرـىـ مـلـوكـ
فـإـنـ تـفـقـ الـأـنـامـ فـاتـ مـنـهـ

القصيدة في ميزان النقد والمقارنة

لما درست هذه القصيدة الرثائية عن كتب واسيرتها وراجعت بعض المصادر فيها، وصلت إلى نتائج أشار إلى بعضها الآخرون وبعضها لم يسبق إليه، فلا يحمل وزره إلا نفسي، ولا يستهدف لسهام الرد إلا شخصي، و اليك هذه النتائج:

١ - لقد أجاد المتنبي لما بدأ قصيده بتلك المقدمة التي اسلفنا الاشارة لها بأنه لا بد من الموت وأن الانسان عاجز عن دفعه، و ان خيل الدهر والليالي لا يزال في غارة أعمارنا، فلا بقاء في الدنيا لأحد ولا خلود فيها لفرد، إذاً لافائدة في الحرص عليها والإنهاك في حبها. فالشاعر بهذه المقدمة الوجبة في ذلك الأسلوب الالاط بالقلب يسوق الانسان إلى أن يقابل الموت بالعقل والتفكير لا بالحساس والعاطفة، ويدعوه الى المقاومة والتصبر وترك الجزع والضرج.

٢ - اذا نظرنا إلى القصيدة من ناحية موسيقى الكلمات وما يتطلبه الرثاء من ايقاعات وترنُم الالفاظ، و قسنا عمل الشاعر هنا بذلك المقاييس، وجدنا ألفاظ القصيدة وكلماتها على حظ وفير من الموسيقى المطلوبة. ذلك ان الموضوع والمعنى يستدعيان قالبا يلائمها، فمثلا اذا كان الموضوع الكـرـ والـفـرـ او الصيد والـسـيرـ فلا شك أن القالب المناسب له ما كانت الهجاءات فيه قصيرة والـنـبرـاتـ قـرـيبةـ، الـأـتـرـىـ قولـ اـمـرـيـ الـقـيـسـ لـاـ يـصـفـ حرـكـةـ فـرـسـهـ وـسـرـعـتـهـ:

مـكـرـ مـفـرـ مـقـبـلـ مـدـيرـ مـعـاـ كـجـلـمـودـ صـخـ حـطـ السـبـلـ مـنـ عـلـ
كـأـنـهـ يـسـتـمـدـ لـتـصـوـرـ تـلـكـ الـحـرـكـةـ وـالـسـرـعـةـ وـتـجـسـيدـهـاـ مـنـ
موسيقـيـ الـأـلـفـاظـ وـاـيـقـاعـاتـهاـ الـقـصـيرـةـ.

اما اذا كان الموضوع ما ينتهي الى الحزن ويسوق الانسان الى أن يتنفس من همومه، فالقالب المناسب إذن ما كانت الهجاءات فيه طويلة، لأن الالفاظ بتبراتها الطويلة تساعد على التنفس من زفات الصدر. لهذا يتحقق آخر المنادي عند الندب الف، لطول الصوت، فيقال: واحسينا، أو واحسينا.

ما قالوا الله (ص) : «الحننة تحت أقدام الأمهات».

الثاني: أن مسألة التستر والغاف، وكذا الترفه والتنعم تكررت بعبارات مختلفة وباشكال متعددة، ليراجع أبيات ١١، ٢٥، ٢٧، ١٦، ١٥، ٣٢ و ٣٣.

الثالث: أن وصف الجمال جاء في غير موضعه كما سبق
الإشارة إليه.

١٠ - إن قوله: «نزلت على الكراهة...» يعظم تهويل الموت على التي اعترف الشاعر بأنها مدفونة في كرم الخلال ويزيد في كراحتها للموت، مع ان اللائق بالمقام ان يخفف الشاعر من شأن الموت ويهون أمره للشخص الراحل، كما فعل في قوله:
أطاب النفس أثيك مُتّ موتاً تَنْسِي البُواقي والخواли
ويتوسل الى أن الحياة الحالدة هي بقاء الذكر، وأن الموت هو فقدان الخلال الكريمة، فمامات من يُذكر بالخير وما عاش من خاص في الشر^(٢٥). وأن الإحسان والجود وصدق القول مثلاً يتبعها التواب في الجنة، وتورد الشخص الراحل دار الرحمة والنعمة، قال الحطيّة:

الله لا يُنْهَى عن حِلْمٍ مُحْمَدٌ نَسِيْحٌ دَائِيْهِ فَلَمْ يَنْصُرْ إِلَّا وَأَكْفَاهُ الْأَجْرُ
الْأَتْرَى إِنْ قَامَ كَيْفَ أَجَادَ فِي رَثَاءِ حَمِيدَ الطَّائِيْ حِلْمٌ حِلْمٌ لِلْأَجْرِ
مِنْ يَفْعُلُ الْخَيْرَ لَا يُعَذَّمُ جَوَارِيْهِ لَا يُدَهَّبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ

نردى ثياب الموت هُرّاً فما أقي لها الليل الا وهي من سندس خضراء

١١- الرثاء يفوح بنفحة ارستقراطية غالية يعدها الشاعر مع قوله «آخر» بـ«بسن...» رامى... روى... روى

يقول:

وَجَنَّبَ فِرْبِ السُّلَطَانِ مَقْتَهَا
صَحَّتْ مَلْكُ الْأَضْرَابِ مُغْتَسَلًا

١٢ - الرثاء حال من صدق العاطفة، وصنعة التكليف فيه

بادية، والدليل على ذلك تكرار المعاني والخروج عن الموضوع
والمسالعة التي لاتتبئ عن حقيقة في القلب وحرس في الصدر.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَرْجُي بَارِزَةً يَوْمَ الْحِسْبَانِ

٧ - نقد الدكتور احمد بدوى قوله:

وهنَّ فِي أَبَالِي بَالرَّزَا يَا لَأْيِي مَا اتَّفَعْتُ بَانْ أَبَالِي
فَقَالَ: وَهَذَا الْبَيْتُ الْآخِرُ نَتْيَاهُ لِلْأَيَّاتِ السَّابِقَةِ وَلَكِنَّهُ
عَلَى مَا يَبْدُو لَا يَنْسَابُ الْمَقَامُ الَّذِي قِيلَ فِيهِ، لَانَّهُ فِي مَوْقِفٍ
اسْتِقْبَالٍ لِنَبَأِ مَوْتِ أَمِّ الْأَمِيرِ، وَهُوَ مَوْقِفٌ يَسْتَدِعِي الاحْتِفالَ
بِالنَّبَأِ وَالْمُبَالَاهَ بِهِ، وَمُشَارِكَةَ الْأَمِيرِ فِي هَذَا الْخَطْبِ الَّذِي نَزَلَ بِهِ
هُوَ تَظَاهُرٌ بِذَلِكِ، مَا حَعْلًا هَذَا الْبَيْتُ قَلَّا فِي هَذَا الْمَقَامِ.
^(٣٢)

لا اوفق الدكتور بدوي في هذا النقد وكون البيت قلقاً في
مكانه، ذلك لأنَّ معنى كلام المتبني هنا على ما افهمه هو أنَّ
النَّاعِرَ بِسَبِبِ تَلْكَ الْحَادِثَةِ الْعَظِيمِ قَدْ وَاجَهَ هُمُومًا وَاحْزَانًا
كَثِيرَةً وَنُوَابَ شَدِيدَةَ لَمْ تَبِقْ مِنْ قَبْلِهِ مَوْضِعًا سَالِمًا وَمَحْلَاخَالِيَا،
فَتَسْتَرَ فَؤَادُهُ بِغُشَاءِ مِنَ الْبَيْالِ وَخَاصِّ فِي لَجَّهِ مِنَ النِّصَالِ، فَبَعْدَ
هَذَا لَا يَهِمُّ بِسَائِرِ الْمَوَادِثِ لَأَنَّهُ لَمْ يَبِقْ هَا وَقْعَ يَخَافُ وَلَا وَخْرٌ
يُعَافُ. وَهَذَا نَظِيرُ قَوْلِ أَبْنِ الْمَقْعَدِ فِي رِثَاءِ أَبِي عُمَرِ وَبْنِ الْعَلاءِ:
فَإِنْ كُنْتَ قَدْ فَارَقْنَا وَتَرَكْنَا ذُوِي حَلَّةٍ مَا فِي أَسْدَادِهَا طَمْعٌ
فَقَدْ جَرَّ نَفْعًا فَقَدْ سَالَكَ أَنْتَا أَمْنًا عَلَى كُلِّ الرَّزَيَا مِنَ الْجَرَعِ

- ۸ -

بعيشك هل سلوب فابن قلبي وإن جانت أرضك غير سال
 ان تركناه على ظاهره ولم نتعسف في تاویله و تخریجه فهو
 بالغزل اشبه من الرثاء، وهذا قال الصاحب بن عباد: مررت على
 مرثية له في أم سيف الدولة تدلّ مع فساد الحسن على سوء ادب
 النفس، وما ظنك بن يخاطب ملكاً في أمّه بقوله (البيت السابق)
 فيتشوق اليها ويختطى خطأ لم يسبق اليه، وإنما يقول مثل ذلك من
 يرثى بعض اهله، فاما استعماله ايّاه في هذا الموضع فدال على
 ضعف البصر ب الواقع الكلام. (٣٤)

٩ - الرثاء بالنسبة الى الشخص الراحل والثناء عليه يدور معانيه على هذه الصفات: التستر والعفاف، الجود والكرم، الترفه والنعم، الجمال وكتنان السرّ وصدق القول، فهذه الصفات تستحق الدراسة من نواحٍ مختلفة:

الاول: ان دائرة الصفات ضيقة جداً، فكان امام الشاعر فضائل اخرى كالأمومة، العطف والحنان، تربية الأولاد، تدبير المنزل، العقل والفكر وغيرها. حسبنا لأهمية تربية الأولاد

مع المتنبي في تحليل قصيدة رثائية ونقداً

٣٥ - في اجل فول السعدى الشيرازي شاعر الانسانية:

سعديا مزد تكونام نيرد هرگ مرده آنسست که نامش بندکویی نبرند

٣٦ - ديوان اي ثما، طبع الملا حاوي، ٤٧١.

المصادر والموامش:

- ١ - الاعداد: الهيئة والتجهيز، المسوفة: المسوف، العواي: الرماح.
- ٢ - السوابق: الحصول السرعة الكربنة، الخبب: ضرب من العدو، السرعة والكر.
- ٣ - الأزاء جمع رزء: لذبة، العسام: ما يعطي أنس، ويسراه.
- ٤ - النصال، جمع نصل: الحديدة التي في السهم.
- ٥ - الناعي من يخبر بالموت، نص، اجمع، الميت: مخلف الميت بالسديد.
- ٦ - البال: القلب.
- ٧ - الحنوط: طب بغل به الميت.
- ٨ - اللحد: النفق في جانب الغير.
- ٩ - هذا البيت يذكرنا فول اي ثما في رثاء اخت محمد بن سهل:
لها منزل تحت البرى وعهدها
لها منزل بين الجوانح والقلب
- ١٠ - اطاب النفس: يسلى النفس.
- ١١ - رواق البيت: مقدمة، مسيطر: مت.
- ١٢ - العوادي، جمع غادية: السحابة التي تتسأً غدوة.
- ١٣ - الساحي: ما يعبر الارض: الخمس سدة الواقع، المخالي، جمع مخلافة: ما يوضع فيه الخل،
اي الرطب من الخنس.
- ١٤ - العاق: المسائل وظائف المعروف.
- ١٥ - ما أهداك: صيغة التعجب، الجدوى: العطاء والإحسان، الفعل: الفعل الحسن.
- ١٦ - العامي: ريح الخوب والسائل خلافه.
- ١٧ - الفرامي: نبت طيب الرياح، الطلال، جمع، طل: المطر الخفيف.
- ١٨ - نبت الحال: منقطع الوصل.
- ١٩ - الحسان: الغفقة.
- ٢٠ - بطامي: الطبيب الحاذق، يفسر الشراح البيت هكذا، يعالجها قبل الموت لزييل
مرضها طبيب الامراض والحال ان ايتها طبيب المعالى، ولكن اعتقاد ان الراوي
«واحدها...» ليست للحال بل للعطاف وان المراد بتطاوی السكانا وتطاوی المعالى
واحد، اعني سيف الدولة، والمعنى بالمعالجة تحقيق الامال ونكميل فعالها جميل.
فلا حاجة الى ان تؤول المعالجة حينذاك بالذراوة قبل الموت.
- ٢١ - الرجال، جمع حجنة بيت صغير في جوف البيت يسرّ النساء.
- ٢٢ - نفض التراب عنه: أزاله.
- ٢٣ - المرؤ: ضرب من الحجارة اي بضم برأق، الزف: رئيس النعام، الرئال، جمع رآل؛ ولد
النعام.
- ٢٤ - التقس: العبر، العواي، جمع غالمة: ما ينطبق به من انسك والعربيات.
- ٢٥ - الاهام: الرؤوس، الاولى مقلوب الاوائل.
- ٢٦ - شئ: مختلفة.
- ٢٧ - غيضت: قلت، الجموم: الذي يزداد ماؤه وقتاً بعد وقت، العلل: السرب تانيا، الغرائب
جمع غريبة: مالم يكن معروفا، الدخال: هو ان يدخل حين أن قد ترب الماء وبين آخر
من لم يتربوا.
- ٢٨ - المحال: معوج.
- ٢٩ - شرح ديوان المتنبي لموحدى، ٣٩١، طبع برلين ١٨٦١ م.
- ٣٠ - العمدة، ٢/٤٧، ابن رستق القرآني، تحقيق محمد محى الدين، مطبعة حجازي،
١٣٥٢ - ١٩٣٤.
- ٣١ - بنيمة الدهر، ١/١١٩.
- ٣٢ - اسس النقد الادبي عند العرب، ٢٣٨، مطبعة دار النهضة، قاهرة.
- ٣٣ - شرح ديوان الحماسة، فصل المرانى، ١/٢٥٦ /للمرزوقى.
- ٣٤ - بنيمة الدهر، ١٢٢ - ١٢١ /١٢١.